"... ردِّدي "الشهادة" لأنَّكِ سوفَ تموتينْ..."

بقلم: الأخت أدما حبيبي

كان ذلك مساء يوم الأحد ، وبينما الأولاد نيام، انخرطت رانية الباز – واحدة من النساء القلائل المذيعات في التلفزيون السعودي – في جدالٍ حاد مع زوجها كما جرت العادة بينهما. "وما هي إلا لحيظات حتى اقترب مني محاولاً خنقي." قالت رانية الباز لمجلة النيوزويك الأمريكية. "وبعدها دفعني بعنف إلى الحائط، ومن ثمَّ إلى الأرض بشدة وراح يضرب رأسي بالأرض. وقال لي: ردّدي "الشهادة" لأن موتكِ أصبح محتَّماً. وهذا بالضبط ما فعلْتُه وبعدها أُغمي عليَّ ولم أفِقْ من غيبوبتي إلا وأنا في المستشفى."

ولو لم تضعْ مجلة نيوزويك الأمريكية صورة رانية الباز ما قبل الاعتداء، وصورتها ما بعد الاعتداء وقد أُخذت لها وهي في غرفة العناية المشددة، ولو لم تذكرِ المجلة تحت كلٍّ من الصورتين ما قبل وما بعد، لَمَا علِمَ القارئ البتة أنَّ الصورة الثانية هي لنفس السيدة. فوجهُها أطلَّ علينا في الصورة الأولى وهو يحمل من الرونق والجمال الكثير وطلعتُها بانت كطلعةِ سيدة بهية في التاسعة والعشرين من عمرها تنبض بالحيوية والنشاط. أمَّا وجهُها ما بعد الاعتداء عليها فقد ظهرَ بضعف حجمه نظراً لانتفاخه وغدا غيرَ معروفٍ بسبب اللَّكمات والكدمات والضربات والكسور التي بلغت الثلاثةَ عشر. أما عيناها فكانتا مغمضتَيْنِ بسبب التورّم. تلقَّت رانية كلَّ هذه الضربات **من زوجها و شريك حياتها وأبي أولادها!!!**

وردت قصة رانية هذه في مجلة النيوزويك الأمريكية وبالتحديد في عددها الصادر في الثالث من مايو أيار المنصرم. ولقد ارتأت رانية الباز أن تتكلم للصحافة عمّا حصل لها بعد أن انتشرتْ قصتُها في الأوساط السعودية وبعد أن أُخذت صورتها وهي في المستشفى، ونُشِرتْ خطأً في الصحف والجرائد لأنَّها لم تكن لتدلُّ أبداً على أنَّها لسيدة معروفة ومذيعة تلفزيونية مشهورة لها مكانتُها وقيمتُها في المجتمع والأوساط الإعلامية. ارتأت رانية أن تتكلم لأنها تريد أن تخبر النساء، كلَّ النساء أنَّ لديهن حقوقاً مشروعة تحميهنَّ ضد أي عنف منزلي. فقالت في هذا الصدد: **أود أيضا أن أقول إنه على الرغم من أن رجلاً واحداً ضربني إلا أن مئةً آخرين وقفوا إلى جانبي ، مديري في العمل ، أصدقائي العاملون معي، رفاقي، وحتى الرجل في الشارع الذي لا أعرفه.** ولأنَّ رانية الباز كانت تخاف من فقدان ولديها الاثنين لم تقدّم دعوة للطلاق من زوجها على الرغم من أنها تعرّضت للكثير من الاعتداء والضرب من قبل. وكل ما تقوله الآن لولديها هو بأنَّها وقعت عن السلم في البيت وهذا ما يحصل لكل من لا ينتبه. والآن

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

وبعد أن انتشرت قصة رانية التي تحمل شعار **لا للعنف**، في الصحف والمجلات المحلية والعالمية، ما تزال مشكلتها من دون حل على الرغم من أن زوجها المصون قد قام بتسليم نفسه للشرطة. وهي الآن تنتظر مع ابنيها الحل لقضيتها إذ أخذت لجنةٌ من المدافعين عن حقوق الإنسان على عاتقها هذا الأمر وقامت بتخصيص محامٍ للدفاع عنها وعن حقوقها وعن الحق المغتصب لكلِّ امرأةٍ من مثيلات رانية.

امرأة أخرى تُضاف هنا إلى قائمة النساء اللواتي يُضربن ويُعذَّبن من قِبَلِ أزواجهن شركاء حياتهن وآباء أولادهن. وأين؟ في البيت الزوجي الذي من المفروض أن يكون عشاً للأمان والاستقرار والحب والوئام. وقصة رانية الباز هي قصة كثيرات يتلقَّين الضرب والتعذيب لكن دون أن تصل قصتهن إلى الصحف اليومية أو المجلات العالمية. وهنَّ لا زلن يتعذَّبن بصمت، ويتألمن بسكوت، ويكتمن ما يتعرضن له من إهانة للكرامة وتحطيمٍ للشخصية وازدراءٍ بالإرادة وكسرٍ للقلب. ونراهنّ متحمِّلات العبء الثقيل بسببٍ واحدٍ وحيد وهو أولادهن فلذات أكبادهن. أجل هناك رانية الباز في كل قرية وفي كل مدينة وفي كل قطرٍ سواء اعترف المسؤولون أو لم يعترفوا، في شرقِنا كما في غربِنا. لكنَّ الفرق واسعٌ وشاسع، لأنَّ الشرق لا يحكي ولا يصرّح ، بل يتكتَّم ويتستَّر ويغطي . لهذا فإن استطلاعات الرأي في بلادنا لا تمتُّ إلى الحقيقة الواقعة بصلة. بل تبقى كما يقول المثل العامي : من الجمَل أذنُه.

أنا لا أريد هنا أن أضخِّم الموضوع ، لكنَّني أحب أن أنقل ما يحدث فعلاً على أرض الواقع. فأنقل بالتالي صوت أخواتي المعذَّبات. والسؤال الذي أطرحه عساه يصل إلى شركاء الحياة، والآباء، وأسياد العائلة المحترمين فيرنَّ في آذانهم ويقول: **لماذا يا ترى يضرب الرجل زوجته؟ حبيبته، شريكة حياته، أم أطفاله، صديقته في رحلة الحياة؟ لماذا؟** هل هو المسكر؟ هل هو الطبع العصبي؟ هل هو القُمار، هل هو الصراع على السيادة؟ هل هو الشعور بالتهديد والخوف من العيش في ظلّها هي؟ هل هو النظرة السائدة للمرأة بأنها ناقصة العقل ، وأنها ضلع أعوج ينبغي تصحيح اعوجاجه؟ هل هو المجتمع الذكوري الذي نعيش فيه كلانا؟ والذي يسيطر عليه الرجل فيتصرّف بناء عليه؟ قال أحد الإخوة العرب مرة لزوجي هنا في لوس أنجلوس: لماذا تظلمُ زوجتُكَ الرجال في بعض مقالاتها. ضحِك زوجي على تعليقه هذا. وعندما نقَله لي قلت: لكنَّني لا أصرّح إلاّ بما أراه يحدث على أرض الواقع وأمام عينيّ، أو أسمعه يحدث لفلانة من الناس أعرفها، أو أقرأه في الصحف العربية، ليس في بلادنا فحسب بل هنا في بلاد المهجرأيضاً. وهنا أعود لأسأل الرجل فلا "**أظلمه**": المرأةُ نصف المجتمع فلماذا تُضرب من قبل نصفها الآخر؟ الزوجة ، التي قال

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

عنها الله تعالى نفسه أنها **معينٌ نظيرٌ للزوج،** فلماذا الإجحافُ بحقها في عيش مسرٍّ ولائق وكريم؟ الأم مربية الأجيال الصاعدة فلماذا تُسلبُ من التقدير والاحترام والإجلال؟ هذه الأسئلة تُطرَحُ مع الأسف ونحن في القرن الحادي والعشرين. نعم لماذا يقوم الرجل بضرب زوجته؟ هل يعتبرها الرجل مثلا أحد أطفاله وتحتاج هي الأخرى إلى تربية ؟ حتى الطفل ليس للأب أيُّ حقٍّ بأن يمدَّ يده عليه. إذ ينصح أطباء النفس والمرشدون الاجتماعيون في هذه الأيام بعدم ضربه لأنه يشب عندئذٍ حاقداً متمردا، وممتلئاً قلبه بالمرارة والغضب.

هل خطر على بال الزوج وشريك الحياة أنه إنما يهينُ نفسَه هو، ويبيّن فشلَه وضعفَه هو حين يمد يده على امرأته ؟ هل خطر ببال الزوج أنه عندما يقوم بهذا الفعل تجاه زوجته إنما يعلن لها عجزه في فهمها وتفهّمها وعجزَه على التواصل معها في فتْح باب الحوار ؟ ثم ماذا يتوقع الزوج حين يرى أولادُه أمَّهم تُضرَب أمام أعينهم؟ ألا يفكرون بأن هذه هي "**الطريقة**" في التعامل بين الأزواج؟ فحين يشبُّون يتبع البعض منهم مثال أبيهم الذي علِق في ذاكرتهم وهم يكبرون. **نعم أجيال المستقبل هي الأخرى في خطر.** وليس المرأة فقط حين تُعذب وتُضرب.

لماذا لا نعود إلى كلمة الله المقدسة كما وردت في الكتاب المقدس الموحى به على لسان رجال الله الأتقياء ونرى ماذا يقول في شأن الزوج والزوجة، وفي كيفية استمرار هذه العلاقة. فنقرأ في رسالة الرسول بولس أحد رسل المسيحية الأوائل قوله إلى أهل أفسس والفصل الخامس:"**أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب.... أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها.... كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم. من يحب امرأته يحب نفسه. فإنه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه..**" (عدد ٢٢ و٢٥ و ٢٨-٢٩)

فالرسول بولس يخصِّص عدداً من الكلمات التي يوجهها للأزواج ليحبُوا نساءهم ضعفَ عدد الكلمات التي يوجِّهها للنساء للخضوع لأزواجهم. فما هي الكيفية التي يجب أن يحب الرجل فيها زوجته؟ **أن يكون مستعدا للتضحية بكل شيء من أجلها، وأن يضع سعادتها في الدرجة الأولى، وأن يعتني بها كما يعتني بجسده.** وعندما يحب الرجل زوجته وشريكة حياته بهذه الكيفية التي أحب فيها المسيح أيضا الكنيسة، عندها لا تخضع الزوجة له فحسب بل تقدّم لزوجها كل تقدير واحترام ومهابة والمكانة التي يستحقها. هذه هي الصورة الجميلة التي يريد الروح القدس أن يعلّمها للزوجين اللذَين خلقهما على هذه البسيطة منذ بداية التاريخ البشري. **فعندما يخضع الزوجان أولا لله تعالى خالقهما وصانعهما وعندما يختبران محبته في المسيح لكل منهما في حياتهما، لابد أن يتعلّما عندئذٍ أن يخضعا لبعضهما البعض وأن يطبّقا كلمته في حياتهما معا وفي علاقتهما الزوجية.** وعندما يبادر الزوج في إظهار المحبة الحقيقية لزوجته لا بدَّ أن تتجاوب هي في الخضوع والاحترام والإكرام لزوجها وشريك حياتها. **فهو المبادر في إظهار المحبة وهي المتجاوبة في تقديم الخضوع.** لكن أن يقول زوج كما يردد الكثيرون هذه الأيام : إني أحب الله و لا يجسِّد هذا

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

الحب في علاقته مع زوجته، فلابد له أن يسمع قول يوحنا الرسول له: **إن قال أحد إني أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب. لأن من لا يحب أخاه الذي أبصره كيف يقدر أن يحب الله الذي لم يبصره؟ (١يوحنا٥: ٢٠) وعلى** نفس المقياس فإن مَنِ ادّعى بمحبته لله وهو يبغض زوجته ويضربها ويعتدي عليها أوعندما يوجه لها الإهانات الكلامية، فإنه لم يعرفِ الله وليست كلمته ثابتة فيه.

فلا رفعُ الشعارات الدينية ولا التشدُّق بالآيات السماوية، تجعل الواحد منا يعرف الله تعالى حقَّ المعرفة. وأخشى أيضاً من أن يكون الكثيرون ممَّن يدَّعون معرفة الله الحقة قد ضللَّوا أنفسهم لا بل خدعوها لأن حياتهم لا تعكس الكلام المعسول الذي يتفوّهون به والمظهر المقنَّع الذي يستميلون عن طريقه الناس. فيا إخوتي لا نحب بالكلام واللسان بل بالعمل والحق. فهل نفحص ذواتنا على ضوء كلمة الله المقدسة؟ التي هي السراج المنير الذي يضيء خبايا قلوبنا وينير زواياها المعتمة؟ وما أحرانا عندما نتغيّر ونُخلَقْ من جديد عن طريق الماء والروح، أن نقول عندئذٍ لزوجاتنا كلمات الحب الحقيقي : **ها أنتِ جميلةٌ يا حبيبتي ، عيناكِ حمامتان.** فتردُّ عليه : **ها أنتَ جميلٌ يا حبيبي وحلو .. جوائز بيتنا أرز وروافدنا سروٌ...** فتتغير ساعتها اللهجة من "**رددي** "**الشهادة**" **لأنك سوف تموتين**" ، **إلى لغة الحب الصحيح ونشيد المحبة الصريح.**

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service